

السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية



بقلم

الدكتور مصطفى حلمي

استاذ الثقافة الإسلامية بجامعة الرياض



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين . وبعد .

لقد سبق أن عرضنا لقواعد المنهج السلفي وشرحنا أبرز معالمه -١- . وسنعالج في هذا المقال أسباب العدوى المنتقلة إلينا من الغرب في تقسيمه للتاريخ إلى قديم وأوسط وحديث -٢- . للبيان الاختلاف الجذري بين مفهوم (السلفية) بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية .

إن المصطلح - من وجهة نظر المؤرخين الغربيين - وعلى رأسهم أرنولد توينبي - له مدلوله الخاص . كما ستوضح بعد قليل . ولا صلة له بمثيله في دائرة الفكر الإسلامي . لا من حيث المصطلح أو المضمون .

فمن حيث المصطلح ، أصبحت « السلفية » علما على أصحاب منهج الاقتداء بالسلف من الصحابة والتابعين من أهل القرون الثلاثة الأولى ، وكل من تبعهم من الأئمة ، كالائمة الاربعة وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة ، والفيت بن سعد وعبد الله بن المبارك ، والبخارى ومسلم وشاذل أصحاب السنن ، وشمل شيوخ الاسلام المالطيين على طريقة الاوائل ، مع تباين المعصور وتفجر مشكلات وتحديات جديدة أمثال ابن تيمية وابن القيم ومحمد ابن عبد الوهاب وكذلك اصحاب اغلب الاتجاهات السلفية المعاصرة بالجزيرة العربية والقارة الهندية ومصر وشمال أفريقيا وسوريا (وكانت ذو اثر واضح في تنقية مفاهيم الاسلام ودفعه الى الامام لمواجهة الحضارة والتطور ، ولتكشف عن جوهر الثقافة العربية الاسلامية الاسلية القادرة على الحياة في كل جيل وكل بيئة) « ٣ » .

١ - ينظر كتاب (قواعد المنهج السلفي) حيث اجتهدنا في استقرار هذه القواعد وحددناها بما على :

١ - اتباع السيف الصالح في تفسير النصوص وفهمها .
ب - رفض تأويلات المتكلمين من المعتزلة والاشاعرة .

ج - الاستلال بالاساليب والبراهين المستخرجة من الايات القرآنية بدلا من استحداث الطرق المبتدعة بواسطة علماء الكلام والفلاسفة وغيرهم .

- من ص ٣٥ الى ص ٤٦ - بالكتاب الانف الذكر ، ط دار الانصار بالقاهرة ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .

٢ - تقسيم التاريخ الى قديم ومتوسط وحديث تم بواسطة اساتذة جامعة كامبردج .

(كولون ولسون سقوط الحضارة ص ١٣٤) .

٣ - انور الجندي - الاسلام والثقافة العربية في مواجهة تحديات الاستعمار وشبهات التفريب ص ٤٩ مطبعة الرسالة بدون تاريخ

ومن حيث المضمون ، تعنى السلفية فى الاسلام التمييز من منهج المحافظين على مضمونه فى ذروته الشامخة وقيته الحضارية ، كما توجهنا الى النموذج المتحقق فى القرون الاولى المفضلة ، وفيها تحقق الشكل العلى والتفكير العقلانى ، ومنه استمدت حضارة المسلمين اصولها ومقوماتها بمثلة فى المبادئ خضوعا للتوحيد ، وبيانا لدور الانسان فى هذه الحياة ، وتنفيذا لقواعد الشريعة الالهية بجوانبها المتعددة ، فى الاجتماع والاقتصاد والسياسة وروابط الاسرة وفضائل الاخلاق .

والسلفية كمصطلح تعنى ايضا فى مدلولها الفاصر - الاقتصاد بالرسول صلى الله عليه وسلم ، فان امتنا تنفرد بمرية لا تشاركها فيها امة اخرى فى الماضى أو الحاضر أو المستقبل - تلك هى تحقق القدوة فى شخصه - صلوات الله عليه - اذ حفظت سيرته كاملة محققة كافة تفاصيلها فنحن نعلم عنه كل شيء وفقا لما نقل اليها فى كتب وعلوم مصطلح الحديث بأدى منهج تاريخى علمى عرفه المؤرخون .

وهكذا فان السيرة النبوية حية فى كياننا ، ونحن نعيشها كل يوم ١٠ وهى تمثل القمة للسلفيين . وتطبيق الشريعة الاسلامية ممتد على طول الزمن لا يتعلق بعصر دون آخر ، بل أن كل جيل من المسلمين مطالب بتنفيذ اصولها النصية مع الاجتهاد فيما لم يرد فيه نص عند مواجهة احوال الحياة المتغيرة كما هو معروف فى اصول الفقه .

وقد ظهر المصطلح فى مقابل انحرافات كانت تأخذ مجراها فسي تايخنا المقدى والثقافى ، فبدأ لتمييز المشتبه للمصالحات الالهية بينهم وبين المنافين لها . كما ذكر مؤرخ المال والنحل - الشهرستانى - وظهر ايضا للتعبير عن اهل الفقه والحديث للمفارقة الواضحة بينهم وبين المتكلمين أو الصوفية أو الفلاسفة . كما أصبح علما فى العصر الحديث على اهل التوحيد منذ حركة محمد بن عبد الوهاب . وعندما اشتدت المقاومة ضد الاستعمار الغربى ، فان معا يلتفت النظر أن ماسيتيون - المستشرق

الفرنسي الشهير - وكان تابعا لوزارة الخارجية الفرنسية - أخذ يربط الحركة السلفية بواسطة الامام عبد الحميد بن باديس ، ثم حذر قومه في فرنسا مما سماه بحركة (السلفيين المتشددين) وما هي في حقيقتها الا انشغاف اسلامية تبغى التخلص من نير الاستعمار الغربي . وقد أعطت هذه الحركة لمفهوم السلفية بعدا جديدا في عصرنا العاصر . اذ اخذت على عاتقها كما فعلت الاجيال السابقة من اصحاب نفس المنهج - المحافظة على اصالة الامة الاسلامية في عقيدتها وشريعتها وأخلاقها حتى لا تتصعق او تهتز تحت ضربات الغزو الاجنبي .

ولم تكن هذه المرة الاولى لظهور السلفيين بهذا المظهر . اذ حدث ايام الاشتباك المثل مع خصوم الاسلام . وكان الاسلام حينذاك في الموضع المهاجم المكتسح بفضل امتسكك اتباعه به . ويملكون العناصر الحضارية الاسمي . الا عندما نقل الفكر الغربي اليوناني واللاتيني . اخذوا في دراسته وتحليله ومناقشته ورد ابطاله ثم قيس ذلك كله بمقاس العلم الاسلامي ومحك النقد الديني . فما وافقه قبله البعض وما خالفه رفضوا . وكان الرفض ظاهرا أكثر من غيره في دوائر علماء السلف ، محافظة على شخصية الامة وأصالتها .

اما هذه المرة - أي في العصر الحديث - فقد جاءنا الغرب فاتحا مستعمرا وحاكما مستعبدا . ففرض علينا لغته وفلسفته وتشريعاته ونظمه في الاجتماع والسياسة والاقتصاد .

وكان من أبعد الخطوات أثرا في حربه ضدنا أن أخذ علماءه فلي تقليب صفحات تاريخنا لاستخراج كل ما يموه الى الاسلام كما عرفه سلفنا الصالح وطبقوه ونفذوه . فأعطوا شأن الفرق المشقة كالخوارج والشيعة والمعتزلة والصوفية الشيعية والفلاسفة وغيرهم . الى احياء أو تحبيد وسدح نحل ومذاهب مختلفة . اما بأسمائها المعروفة بها كالاسماعيلية أو

١ - علال الفارسي / دفاع عن الشريعة ص ٨٧
منشورات العصر الحديث - بيروت ١٩٧٢ م

الباطنية أو تحت أسماء جديدة كالبهائية أو القاديانية والعلوية ، وبعث
الالعاد من جديد وراء ستار العلمانية والماركسية والداروينية ، مع نشر
فكرة وحدة الاديان أو التكريب بينها وإزالة الحواجز بين الحق بصورته
الوحيدة ، والباطن بصورته المتعددة المتضاربة .

وازام كل هذه الخطط والمحاولات ، فلن يظهر زيت هذه العقائد
والنحل الا بطريقة السلف أنفسهم ، مهما تغيرت الازمنة والاعصار ، لانها
طريقة موضوعية ذات أسس علمية منهجية ، تعتمد على النصوص الشرعية
الموثقة ، فهناك مسائل ثابتة لا تتغير ، كنظرة التوحيد ومعاملة المقول
البشرية للبرهنة على النبوات بعامة وتبوء محمد صلى الله عليه وسلم
بخاصة ، والرد على أهل الكتاب من اليهود والنصارى في كل ما انحرفوا
به عن الشرع المنزل ، مع دحض شبهات الملحدين والمشركين .

هذا فضلا عن ثبات النضائل الاخلاقية ، وقواعد التحليل والتحريم
في المأكل والمشرب والملبس ، وتنظيم العلاقات الاجتماعية في الأسرة
والمجتمع ، وإقامة العلاقات الدولية مع سائر الأمم وفقا لاصول الشرع ،
ولقد أصبحت الحركة السلفية ، هي الحركة الكبرى التي جددت الدعوة
الاسلامية ، ولولاها لهان على الغرب أن يستعيد الشرق روحيا وفكريا الى
أمد بعيد «٢» والان ، ستوجز شرح مدلول السلفية من وجهة النظر
الغربية .

٢ - انور الجندي = الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا ص ٢١
الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ١٣٨٥ - ١٩٦٥ م

السلفية وفق التصور الغربي

إن أردنا الوقوف على مدلول (مصطلح السلفية) الشائع في مقراء التاريخ والحضاري ، فإن أمانة التعريف الذي ارتضاه المؤرخ الانجليزي لنتشهر « آرثول توينبي » وسندرك بعدها إلى أي حد امتد مفهوم السلفية إلينا فاصبح البعض منا يردد بنفس التعريف والصورة - وسناقش رأيه لنصل إلى مفهوم السلفية في تاريخنا الاسلامي -

ويرى المؤرخ البريطاني أن السلفية تعني :

أولا : ارتدادا من محاكاة الشخصيات المبدعة المعاصرة إلى محاكاة أسلاف القبيلة - وبعبارة أخرى تمد السلفية سقوطا من الحركة الديناميكية للحضارة إلى الحالة الاستاتيكية التي يشاهد عليها الانسان البدائي في الوقت الحاضر -

ثانيا : محاولة من المحاولات تبذل عند حدوث توقف اضطراري لحركة التغيير - وينتج عن المحاولة ردائل اجتماعية تتوقف خطورتها على مدى نجاحها -

ثالثا : نموذج لتلك المحاولة الخاصة بـ (تثبيت) مجتمع متدهار متحلل - وهذا التثبيت هو الغاية المألوفة لواضعي (نظم المدينة الفاضلة) -

ويستطرد ليشرح المجالات التي تعبر فيها السلفية عن نفسها ، فهي في مجال السلوك تظهر في :

أولا : في شكل نظم متكلفة وآراء تثبت بالمصطلحات الفارفة أعظم من تمبيرها من نفسها في شكل أساليب لا تتصل بالوجودان بسبب . . .

ثانيا : تعبر عن نفسها في المجال اللغوي في معان تتصل بمحتاج ونمط يتسمان بالسفسطة -

ثالثا : وفي ميدان الدين - يسهل على المراقب الغربي الحديث ملاحظة نزعة السلفية في نطاق حدود بيئته الاجتماعية الذاتية .

فإن الحركة الانجليزية الكاثوليكية تقوم مثلا على الاعتقاد بأن الإصلاح الديني الذي تم خلال القرن السادس عشر ، وحتى في صورته الانجليكية المتعددة ، قد ذهب في تطرفه مدى بعيدا ، ومن ثم تهدل الحركة الى استعادة استخدام آراء ومفوس كانت شائعة خلال القرون الوسطى ثم هجرت والنيت اربعمائة سنة الغاء نفوذوا الى عدم التبصر (١) .

وخضوعا للمفاهيم الغربية الشائعة انساب البعض وراوها طنا أنها مطابقة للتصورات الماثلة في المجتمعات الاسلامية ، فمالوا الى الفس من اصحاب الاتجاه السلفي في الاسلام ، ونفروا الناس منه وقاموا بحملة تشهير شاملة ضده .

وقامت ممركة حقيقية (بين الذين يحافظون على دينهم ولقنهم وتقاليدهم ، وبين الذين عادوا من أوروبا وقد فتنهم بريقها ، فاستغلوا بكل ترائهم وراحو ينفرون الناس منه) (٢)

ثم فشت النصبية لما هو وارد من هذه البلاد تحت دعوى التجديد ، وآراد اصحابها تنيير كل ثوب في الدين واللغة والادب وتظم الاجتماع والسياسة والاقتصاد . يدعوى نيد القديم والباي والاعتد بالجديد والحالي وفيما يتصل بالمقيدة والدين ، فقد ذهب احد اصحاب فكرة التجديد الى وصف الدين الحي الحق بأنه ذلك المتحقق في الشعور ، المتجدد المتطور يتخذها وفقا للآزمان ، وتبعا للطابع المنصري المركب في هذه الامة . ولهذا فكل دين في أصله رمز ، قابل لما لا نهاية له من انواع التفسير التي يبلغ الفارق بين بعضها حد التناقض . وكلما تعددت التفسيرات لهذا الرمز ، وبلغ التعدد مرتبة عالية من الافتراق الرفيع ، كان هذا من أوضح الشواهد على أن هذا الدين حي وخلق بالبقاء .

(١) توينبي = مختصر دراسة التاريخ ج ٢ ص ٢٦٠ وص ٣٨٥

وص ٣٩٨

(٢) د . محمد حسين . الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر

ج ٢ ص ٢٢٢ مكتبة الادب بالجواميز - القاهرة ط ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م

وبناء على هذه النظرة للدين في صورته المتطورة المتجددة ، وتفسيراته الرمزية المتناقضة ، تصبح النزعات السلبية أو السلفية وما اليها من حركات تحاول أن تأثر نفسها في ربة الرمز بمعناه الظاهر الاولي ، تصبح عند صاحب هذا الرأي ، على وأزمات نفسية في تاريخ الحياة الروحية لدين ما ، وعليه أن يبرأ منها قدر المستطاع حتى يستأنف تطوره الثرى في مجال الروحية العليا .. (١)

وقد كان الاسلام هدفاً - وما زال - لحملات شديدة تختلج وراء هذه المصطلحات وأمثالها للنيل من مقوماته الراسخة المصدرة للسلال والحرام والخير والشر والفضائل والرزائل ، فاخترعت بدلها الفاظ تنقصها المدلولات والضوابط ، كالقديم والجديد والرجعية والثورية ، واليمين واليسار ، والثبات والتطور ، والظاهر والباطن ، والحقيقة والرمز أو التأويل وكلها تتأرجح متذبذبة ذات اليمين وذات الشمال كيتداول الساعة لاستقر على حال .

وتجددت الممارك وليست أثوابها متعددة منذ حملات الفزوالاستعماري في مطلع القرن الحال ، مما دفع بأصحاب الاتجاه السلفي لمواجهتها وإبطال مقولها . ومن هؤلاء الأمير شكيب أرسلان الذي علق على محاولات المتفريين بقوله :

قلما رأيت من هذه الفرقة إلا الادعاء الفارغ والترويج الى الثورة على ما يسمونه بالقديم ، وهم ينسون أن هناك مبادئ ثابتة وبديهيات ليس فيها قديم وجديد ، وأن الاثنين والاثنين أربعة من مائة ألف سنة فلا نقدر أن نعمل على ذلك ثورة ، وأن المقولات العشر مما لا تتناولها هذه الثورة ، وأن الثورة إنما هي واجبة على الجهل والوهم لا على الحق والملم . (٣)

(١) دكتور عبد الرحمن بدوي : شخصيات قلقة في الاسلام - المقدمة صفحة (٥) .

(٢) من كتاب مصطفى صادق الرافعي .. تحت راية القرآن ص ٣٩ المكتبة التجارية ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م

وعلى ذلك فإن وحدة الدين كما عرفه سلفنا وكما ترشد اليه
أصوله نابع من وحدة عقيدية واتفاق الغالبية عليها . وعلى العكس . فإن
الصور المتعددة لم تظهر إلا عندما انقسمت الجماعة الإسلامية الأولى الى
فرق وأحزاب . كل حزب بما لديهم فرحون . فنشأت كيان الأمة وكبرت
شوكتها .

ومنذ انشق الصف الإسلامي في عصوره الأولى . ظهرت الخوارج
والشيعة والقدرية والمذاهب الكلامية والفرق الصوفية والمدارس الفلسفية
وكلها ذات تفسيرات تتفاوت في انشغالها عن عقيدة الإسلام ذات اليمين
وذات الشمال .

ولم يبق العقيدة الإسلامية على أصالتها ونقاوتها ولعماتها إلا الطائفة
الظاهرية على الحق . التي ظلت تعض بالنواجذ على الكتاب والسنة بالطريقة
التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه . ويوضح لنا
ابن تيمية مكانة الصحابة وسلامة منهجهم وتكامله بقوله :

(فهم صفوة الأمة وخيارها المتبعون للرسول صلى الله عليه وسلم
علما وعملا . يدعون إلى النظر والاستدلال والاعتبار بالآيات والأدلة
والبراهين التي بعث الله بها رسوله . وتدير القرآن وما فيه من البيان .
ويدعون إلى المحبة والارادة الشرعية . وهي محبة الله وحده وارادة
عبادته وحده لا شريك له بما أمر به على لسان رسوله) (١)

ولقد تتابع السلف جيلا بعد جيل أخذين بطريقتهم . ووقف
علماؤهم بصلاية إمام كل محاولات التجزئة والبتر والتأويلات الكلامية
والتفريجات الفلسفية والتفسيرات الرمزية الباطنية . فلم يهنوا ولم
تفتر لهم همة .

وما على القارئ لكي يعرف هذه الحقيقة . إلا قراءة بعض صفحات

(١) ابن تيمية = النبوات ص ١٥ . نشر المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة

التاريخ إذ يثر على خيط طويل يمتد في سلسلة متصاكة منسدة الاوائل حتى مصرنا العاصرة ، وقف علماء السنة بالمرصاد ، مبنيين الانحرافات عن الاصول الاسلامية ، وربما لا تسمح لنا هذه الدراسة بالتوسع في بيان ذلك الا بالقدر الذي يحقق توضيح الفكرة التي نحن بصددنا ، وهي أن الاسلام ظل محفوظا في الاصلين العظيمين : الكتاب والسنة ، وان تلقيه وتطبيقه بمنهج السلف هو الذي حفظه حتى الان . لكل انحراف في تقويض أركان المجتمع الاسلامي ومساندة اعدائه ومن هنا عارضوه نفاذ القدر بسبب انكارهم لاصل من اصول الايمان المثبتة للعلم الالهي الازل المطلق ، وأيضا حاربوا نزعة الجبرية التي ساهمت في ركود الهمم واختفاء الارادة الانسانية وتغليب سلبيتها على جانبها الايجابي النشط .

وقف السلفيون ازام تجزئة عقيدة الاسلام الى دوائر عقلية - لدى المتكلمين والفلاسفة - او عاطفة وتفسيرات وجدانية ذوقية لدى الصوفية وما جهود العلماء الكبار منذ عصر الصحابة والتابعين أمثال : الحسن البصري وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير - الى أمثال ابن خنبل وابن تيمية والدارمي والشافعي ومالك وابن خزيمة والشافعي وابن قتيبة وابن القيم والشوكاني وابن الوزير اليماني وغيرهم ... ما جهود مسؤولاء العلماء الا عمل من أعمال المحافظة على الاسلام في مصادره وعقيدته وعباداته ومعاملاته وأنظمته وفقا لطريقة السلف ، فمال ذلك دون ادخال أية تحريقات كما حدث في اليهودية والنصرانية ، بل استطاعوا فضح كل المحاولات التي بذلت من هذا القبيل ، واصبحت مؤلفاتهم مبررة حسن الامالة لاشهار المغالين المتدعين وتوعية المسلمين من خروجهم عن المنهج الاسلامي الصحيح .

فقد وقف الفقهاء والمحدثون في وجه الدولة العباسية في عنفوان قوتها عندما راوا ما يؤخذ على بعض خلفائها وولاتها ، فقد ضرب أبو حنيفة عن القضاء ، وأودى الامام مالك لشراء الحديث (ليس على مستكره طلاق) عندما أرغم المسلمون على حلف يمين الطلاق بمناسبة البيعة للمعتصم . وصعد الامام احمد صموذا جبارا ازام محاولات تفسير الاسلام تفسيراً عقليا كلاميا مخالفا لنصوصه ايان معنة خلق القرآن .

وجاء من تسمية لتعدد فهم الاسلام على طريقة السلف في وقت ينظر
 المتصمخ لتاريخ عصره ان يقول المسلمين قد توقفت وجدت على اراء
 علماء الكلام والفلسفة وشطحت مع فرق الصوفية ، وكان الجميع قد
 سوا ان الفرار الكريم مارال فصا طريقا بين ايديهم ، وان سة الرسول
 صلى الله عليه وسلم تفسهم عن الدروب التي سلوكها .

ثم رأينا في العصر الحديث كيف قام الامام محمد بن عبد الوهاب
 للاصلاح مظاهر لشرق والوثنية تحليل عقيدة التوحيد من جديد بعد
 ان رر عليها درس العاصفة مره اخرى ، وايضا معظم الحركات المعاصرة
 في العقيدة وسائر الجهد حتى يمكن القول ب دعوة الامام تشكل الاثر
 العاسم فيها جميعا لانها بدأت بالقدمة لى يطلق سها اى عقيدة
 التوحيد .

السلفية والعصارة الاسلامية

اذا كانت لعصارة لاسلامية ما زالت قائمة كجسومات حية في
 رأى توبسي فما الذي يفسح بحركتها لمبدأ عالم من جديد ؟

به وقت لطريقه من عدم موب - بحصاره بالشي بمصوى واضع
 تحمي وقد يكون هذا لاضاع - في قرون ثم تعود لمصهور ، كما يؤمن
 كبير مؤرخي العصر في حياته ب - بحصاره الاخرقبة هي لسفح بحثي
 لمحصارة لاوروبية الحديث وهو يرى - الحصاره الاخرقبة قد احتلت
 ثم عادت ملائها لمصهور في بحصاره لاوروبية الحديثة - (١)

ولكن لعصارة الاسلام - باعتزفه - لم تحت مصوبا بمكس
 الاخرقبة ورجع الفصل في عنها في عاء لعقده وصل - السمين
 باقية في اضاء عقيدة التوحيد وهم الا سل لاسلام لان
 الاسلام - كما يذكر توبسي - قد افسد بوكيد وحدية الله في مقاسل
 اصعب - الذي في سلك مبيعه هذه بحقيقته ليعزفه - (٢)

واسمرب السمية في بحافته عن التوحيد في جوهره اسقى فصحت
 ردى عقيدة الرئيس و صورة من صور الوثنية لان أية عقيدة دينية
 في رأيه - تواجه خطر التردى في عبادة الاوثان واب العقيدة الدينية
 لتتعرض حاضه او الاملاى في هذا مصدر المؤدى الى جهنم ، بعدما تكايد

الربا من الصريبات الخاصة وخاصة إذ جاءت من أساس يستعصم
عليها . (٣)

أما الصريبات الخاصة في تاريخها ، فقد كان مصدرها أساس يدعو
أهلهم يستعصم إلى الاسلام عامة أو لتشجيع خاصة ، بينما حملوا بمسائل
عدم تبنيها من بعدهم ، ولا يستعصم منهم معرفة حرمهم وحيلهم
أو بوقوفهم على الطريقة السليمة في فهم الاسلام والعمل به .

لهذا فقد عثقت علماء السوء استعصمهم مع تعدد أصنافهم وكثرة
فرقهم ، مثل : حائمه من الممثلة والعريضة الباطنية والاسماعيلية
وغيرهم ، كأيديهم وأمثالهم وأصحاب رسائل آخوار الصفا ، والسيديين
الذين كانوا يصرون على تكذيب وأصنامهم ، هؤلاء كانوا ينظرون
بالتشجيع وهم في الباطن ملاحدة (١)

ولهذا سنأخذ أمثلة من مفهوم السلفية كمنهج في الاسلام ، لا يمس
جيلا واحدا ، ولكن تسمع دائرته لتشمل الحاضر والمستقبل أيضا
لأنه لا يتفق بالمرس والمصور لكن يتبع الطريقة الواحدة الثابتة حتى
لو كان أصحابها أفرادا قلائل ، فمن دونه يقيم الحاضرة والساجدة ،
استقامة القلة من الطلائع مجابهة التعديلات . (٢)

هذه السلفية وحوايلها : -

إن الصوب والمقاييس الثابتة التي تعددها السلفية كمسألة بتحرير
سلائع أودد لقيادة الحاضرة الإسلامية من جديد كما خفت صوابها
وهم يشككون بجهلهم وهم مسخرون من الجمهور الباطني والمعاينة على

-
- (١) لمي المطيعي . أدنولد توينبي ص ٢٩ ذا الكتاب العربي للطباعة
والنشر القاهرة العدد ١٤٨ - ١٩٦٧/٢/٢٢ م
(٢) مختصر دراسة التاريخ ص ٣ من ١٩٤
(٣) نفس المصدر ص ٢١١/٢١٠ ترجمة فؤاد محمد شبل - جامعة
الدول العربية ص ٥ ١٩٦٤ م

طريقة الاتباع إلا القديم ومقوماتها لراحة الجامع بين أخلاص التوحيد له تعالى وحده . والایمان بالوحي طريقا لمعرفة عالم الغيب ، مع استسلام الأسار في شؤون حياته لما أمر به الله في شؤون حياته بواسطة حسابهم الرسل والآلاء وتحرير العقول من الوثنيات وأصر لشرك لتتفرع فيما يعود على الأسار بالسمع في ميادين المعارف والمعلوم ووسيتها النظر ولتجربة مع ثبات المصائر الإحلاقية والآداب الأساسية .

وهنا تظهر بوضوح السعي في خصوص كثرة سحار منها ما يشرح معنى بصر المستقيم لا يلاحظ في التصور الإسلامي أن أصول وقواعد محددة وفق هذا لصراط المستقيم وهو السابغ من التدبیر أو الارتداد أو الدوران في حتمات معرفة قد توحي بها استكمال أخرى غير العهد المسيحي كالمعلوم المتفرع أو أشكال الدوائر والمحيطات مثلا إذا جار لنا الضحية بالاشكال الهندسية للتوضيح والبيان

قال تعالى ، وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم من سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ، سورة الأنعام آية ١٥٠

وفي شرح معنى هذه الآية ، استدلل بالحدث من جابر قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فخط خطا فكنا أمامه . فقال (هذا سبيل الله) . وخطين من يمينه وخطين من شماله وقال (هذه سبل الشيطان) ثم وضع يده في العهد الأوسط ثم تلا هذه الآية . (١)

وهي حديث آخر . سأل رجل ابن مسعود رضي الله عنه ، ما الصراط المستقيم ؟ قال تركنا محمد صلى الله عليه وسلم في أدناء وطرفه في الجنة وهو يمينه جواد وعن يساره حواد ثم رجال يدهون من من بهم ، فسأله أحد في تلك الحواد . فسأله إلى النار ومن أحد على الصراط انتهى به الجنة .

(١) ابن تيمية : كتاب الصغدية ج ١ ص ٢٠١ تحقيق د . محمد رشاد سالم ط شركة مطابع حنيفة بالرياض ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م
(٢) كولن ولسون ٠٠ سقوط الحضارة ص ١٥٠
ترجمة أنيس زكي حسن ط دار العلم للملايين - بيروت ، نوفمبر سنة ١٩٥٩ م

ثم قرأ ابن مسعود (وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
ففتنوا بكم من سبيله) - (٧)

وبعد أن عرفنا هذا الصراط ، فقد أصبح لنا عليا أن نعرف
المسائل التي هي هذه وهذا ما أخبرنا به الرسول صلى الله عليه وسلم قال
(ما من نبي بعث الله في أمة قبيلا إلا كان من أمته حواريون وأصحاب
يأخذون بسنته ويقتدون بأمره) ثم «بها» بحق من بعدهم خلوقا يقولون
ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون . فمن جاهدكم بدينه فهو مؤمن ومن
جاهدكم بلسانه فهو مؤمن . ليس وراء ذلك من الايمان حبة غرل (رواه
مسلم)

فإذا أصبحنا إليه حديثا أخر أمر فيه الرسول صلى الله عليه وسلم
باتباع سنته وسنة الصحابة الراشدين أزداد الأمر وضوحا .
قال الميرزا بن سارية صي بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . .
رأت يوم ثم القل عليا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها الدموع ووجلت
منها القلوب . فقال قائل يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فإعنا
تعهدا إليه . فقال (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن هذا
حبيبا فإنه من يمشي معكم بعدى فيسرى ختلا كثيرا) فليكنكم يستن
وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بأسواجم
وأياكم ومحدثا لأمر فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة (رواه
أبو داود)

و بناء على هذا العهد يستطيع أن يتحقق تاريخيا - وفي العصر
الحاضر أيضا من الدور الذي أداه السلف . فيتأكد لديها موضوعية المنهج
وتعلقه بمعايير وضوابط لا يعصور وأرضة - فمن الثابت تاريخيا

١ وقوف السلف في وجه الفرق المشقة كالمغوارج والشيعة والتقدمية
والجهمية وغيرها كما رأينا .

٢ شجب الانتباه المثل المغال كالمثيرة والفلاسفة ، وحتى أصحاب

(١) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - ج ٢ ص ١٩٠ ط دار الفكر .
(٢) نفس المصدر ص ١٩١ .

أوراق الوسط كالأشعة . وهذا ما نمره مواقف المقاتل وعلماء
الحدث أمثل من حسن والد ربي والشايع ومالك .

٣ - ظهر أيضا كأوضح ما يكون في مؤلفات ابن القيم وابن تيمية
حيث أحاط بعلوم وثقافته مصرمه - في تعريف الساج والثاس الهجري
- ووفقا بناب من كل الاتحاد التي استعمل حطرها في دوائر علم
الكلام والفلسفة والتصوف والتشريع .

٤ - ظهرت ملامح متبددة للاتجاه السلمي في العصر الحديث وإن بدت
في جهود سموه لملء في شتى العالم الاسلامي لا تجمعهم وحدة الارض .
والامثلة على ذلك طهار التوحيد بواسطة الامام محمد بن عبد الوهاب
وتبعه اخرون في الجزيرة العربية ومصر والشام والعراق والمغرب والفازة
الهدية .

وكان دور المستفيين طامرا في حد الدور للمحافظة على مقام
التوحيد الاسلامي في العقيدة والمادة ثم الجهاد للتخلص من يفسد
الاستعمار الغربي الصليبي .

وعندما ظهرت مشكلات جديدة بسبب ازدياد صلات العرو الاستعماري
وفتح ساحة جديدة للسلل منها عقيدة الاسلام ، كانت السلمية بأرة
المال في عدة مواقف تذكر منها :

١ - معارضة دعوى التجديد وتطوير المفاهيم الدينية خصوصاً
للنظريات العلمية المعاصرة .

٢ - نقد العقيدة الحديثة ، الغربية والمعاصرة وشجبها بمسطق القرآن
الكريم وعدم الخضوع لتصوراتها التي أحدث في أرجف على العالم
الاسلامي وأحدثت تمزاج في الحقبة الاسلاميه مستهدفه النيل من أصالة
العقيدة الاسلاميه ووجدها وشمولها متعة في ذلك شتى الأساليب كالفصل
بين الدين وادولة أو العلمانية ، والنيل من السنة واحلال القوانين
الوصيه بدل الشريعة الاسلاميه وكلها حين جديدة مثقلة بما هو
بحضارة العرب وثاريخه وعقائده . وما أصاب مجتمعاته من تحسرات
اقتصادية وسياسية تنفسه وحده .

وما دام الامر كذلك ، فان ما يستحقنا ملاحظة طرق وأساليب
 اعداء الاسلام ، ان تتجمع كلها - بالرغم من تدهار وسائلها - للميل ضمن
 الاسلام عامة ، ومن الطريقة السنية خاصة ، ثقافيا واجتماعيا وسياسيا .
 وفي المجال الثقافي والتعليمي ، كل من دأب المستشرقين وما زال تنظيم
 الفرق المشقة من الجماعة أمثال الحوارج والشيعية ، وإثارة الانكسار
 المعاندة لمسئولية كالمثولة والجبرية والقدرية ، ولغيرها من الداعسب
 الكلامية والانكار الفلسفية مع تنظيم أصحابها وترويج أفكارهم ، مع
 السيل من شيوخ السلف وعلمائهم . أختلج الى ذلك فرس دراسة الفلسفات
 العربية لديمها وحديثها بكافة مداخلها وأصحابها .

وفي المجال الاجتماعي توسيع دائرة التصوف وتشجيع الفرق الصوفية
 وتحميد نشر البدع باسم الاسلام ، أو تكوين ما يسمى فرق الانشاد الديني
 بصورة مشابهة للصراعية كالموالد وبنام مساجد جديدة على الاخرجة .
 والهاب مشاعر الجماهير العاطفية من طريق التفسير الصوفي للدين .
 وإخفاء سمج السلف في فهم الاسلام وتطبيقه .

وسببها ، دأب الاستعمار الغربي على تشجيع الفرق المشقة عن أهل
 السنة والجماعة كما أسلفنا . مع ابتداع أساليب جديدة كالبابية والبهائية
 والناديانية ، ومدها بالموافق المادي ، وتمكين اتباعها من الوصول الى مراكز
 التأثير . الى جانب لوعة أرائها والترويج لها تحت حمار الاسلام ، مع
 الاعتماد أيضا على الفرق التي ما زالت تتوارث عقائدها الباطنية المعروفة
 من الاسلام منذ ظهورها في المجتمعات الاسلامية ، كالباطنية الاسماعيليه
 والنصيرية والدروز .

وإذا كانت خصوم السلفية ينفرون منها بدعوى منافاتها للتقدم ،
 فما هو التقدم ؟

أصبح لمط (التقدم) هو الشائع الآن وأخذت المالبية تحضج
 للتفسير الذي يميل الى وصف كل ما هو حديث ومباشر بالتقدم ، وأمنت
 هذه المرحلة الى الإصالح الأدبية والفنية وحتى الكتابات الصحفية اليومية .
 وأمنت يعود الفكرة ليشمل كل شيء ، فلم يميز بين التقدم في دوائر العلوم

التجريبية وغيره من أدوات الأبطال الأساسية ، وتعتمد على الفكرة الرائدة بالرغم من خطئها - كما نبشت - أو تصور المجتمعات البشرية وكأنها تتقدم تنقائيا كما تقدم بها الرمن . فتقرب بمرور الأعوام والقرون من درجات الرقي والتقدم .

ولبيان خطأ الفكرة بالرغم من ذيوها وانتشارها ، فإننا سنناقشها وفقا للترتيب التالي : -

- أن الفكرة مرتبطة بأمر حل التاريخية التي مر بها الغرب ، إذ انتقل في تطوره المادي من المصور القديمة إلى الوسطى الحديثة والمعاصرة . وفي صور هذا التقسيم ، واقترب كل مرحلة بطرقها ، أصبح الغربي عندما ينظر إلى تاريخه ، يفرغه المدلول السلفي لأن يصومه التاريخي والعصاري يلقي في قلبه الرعب . فالسلفية في نظر الإنسان هناك عموما تعوقه عن التقدم المادي في الصناعة والزراعة وحقوق العلوم والمعارف المتعلمة إذ تفجرت على أثر الثورة الصناعية واستبداد المنهج التجريبي في العلوم ، بدلا من المنهج لصورى اليوماني ، وهو من نتائج سلف الحضارة المعاصرة وكان سطحا عقيما لم يتقدم بالعلم خطوة واحدة ، كما تحرمه السلفية هناك من المثباتية التي فصلت بين الدين والدولة سياسيا واجتماعيا طبقا للشعار (دغ ما لله لله ودغ ما لقيصر لقيصر) فتحررت الشعوب بذلك من قيود رجال الكنيسة التي صيقت الحائل على حركة التقدم السياسية والاجتماعية .

وفي الميدان العلمي ، انطلق العلماء يتدعون معيا وراة الحقائق التي تقدمها التجارب والاكتشافات العلمية ، ليأتي العلم كل يوم بالجدد المدهل ، بعد أن فك عن نفسه قيود تفسير رجال الكنيسة . ولأن السلفية هذه كانت مصدة لمفكر العيسى الذي أراد الدين امسيحي .

والسلفية بعد كل ذلك باضمون الغربي تعيد إلى الإذهاب الصور انظمة المقترنة بالظلم الاجتماعي والسيطرة السياسية في عصور طغيان الملوك والأمراء ورجال الاقطاع في القرون الوسطى .

وتكرر سنوفا لسؤال : ماذا نريد بقولنا : التقدم ؟ التقدم على ماذا ؟ أو على من ؟ أو بالنسبة لماذا ؟ أو لمن يكون التأخر أو التقدم (١) .

ويجب على هذا السؤال أحد المؤرخين الذين قسروا الحصارا بالتعير وليس بالتقدم ، من المجتمعات تتغير والتعير قد يكون تلعفا أو تقدما من نموذج وشكل أهل ذلك لا في كيان الاساس مقومات ثابتة كالزوج والعرائس والبول وحاحه الى المسكن والطعام والتراب واليوم والتساقط . ولكن التعير يصيب وسائله للوصول الى اشباع حاجته ، قد يتقدم في استخدام وسائل أرقى . ولكنه يستعملها في الحروب وميادين القتال والسطو والسرقة .

ولكن هل خفف الانسان من أمانيته وأحقاده وظلمه وتسلطه لسفك دماء وفرض سيطرته على الصمغ ، أم مارست الحروب المستهدفة لاذلال الشعوب واستغلالها وهب ثرواتها مستمرة في القرن العشرين الميلادي ؟ ألم تخرج الشعوب الصغرى والصغيرة - التي كانت مستعمرة بالاس - أن تجد لها مكان في عالم الاقويام من الدول الكبرى ؟ وهي صوم ذلك كله هل التقدم حقيقي أم مجرد وهم وشيال ؟

يجيبنا على هذا التساؤل هاري ألتر باونز بقوله :

(وعامة المؤرخين اليوم على أن ما يسى بالتقدم أو مسيرة التاريخ والحصار الى الامة أو الى الاحس اسما هو وهم ، لان غرائز الانسان واحلاقيه المركبة في طبيعة باقية كما هي ، بل رادت حدة وخراوة ، ولا زال الوحش راقدا تحت جلد الانسان المتحضر ، بل ان لفظ « الوحش » فيه تجمل في وصف خلقه الانسان المتحضر اليوم . فان الوحش يهاجم ليأكل أو ليدافع عن نفسه ، وفيما عدا ذلك فهو ساكن أو وسان . أما الانسان فيدير لابتادة الالوف أو الملايين وهو راقد في فراش وثير في غرفة مكيفة الهواء تصمم اخر مستكرات التقدم المادي - فايها الوحش ؟)

ان انسان اليوم محروق صغيث القتل في يده قسلة يمكن أن يحطم بها نفسه وخيره ، وهذا هو وضع الانسان القائد للحصار والسياسة اليوم (1)

(1) دكتور حسين مؤنس : العضارة صفحة 149

من سلسلة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت
عند يناير 1978 م مهرم / صفر 1398 هـ

وارام كل ما وراء مائلا للعباس . فاسا سبيل الى الاخذ بالتفصيل
التاريخي القائل بأن التاريخ في سيره يأخذ اتجاهها مسددا (٣) مستدين
في ذلك الى أن العصر الذهبي للإنسانية تعاقب في عصر السوء ثم الصعابة
والثابتين . وبعد القرون الثلاثة المصلة أخذت مراحل الانحدار تزداد كلما
افتقر المسلمون شيئا واحدا مستدين عن تلقى الاسلام حسبا فهمه
السلف وطبقوه عقيدة وشريعة وأخلاقا .

ويتضح من حديث سوى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمر في
هذه الأحوال بالعصر على الشدائد والمخاضات بأنها مترددة على مسر
الاحمر

عن الربيع بن ربي قال أتينا أنس بن مالك رضي الله عنه فشكوا
ليه ما سقى من الحجاج فقال أصرا عامه لا يأتي رماح الا والذي يمدد
شر منه حتى تلقوا ربهكم . سمته من سبيكم صلى الله عليه وسلم . (رواه
البخاري)

أما نظرية التقدم المرشطة بدورة الزمن فقد تعرضت لامتحان شديد
في العصر الحديث وبعد توالي طواغر تسيء في الارماح في العالم العربي
التقدم مثل (انتشار الرذيلة واتساع نطاق استعمال المخدرات وضللال
الشباب في مناهات التمرد على المجتمع واتحاد العربي من الملابس والازياء
واتساع نطاق الجريمة المنظمة والارهاب) .

.. وما هي ادن الحقيقة الا خطوات سريعة للتقدم نحو البربرية (١)
وبالعكس انما يرى أن المجتمع البدوي أكثر تقدما اذا قيس بمقاييس
التقدم الاخلاقي المعاصر برغم تصحيته بالامراض احيانا للمحافظة على كيانه
العام من أي تحلل . وقد يوفقه هذا المسك في مكانه ثابتا ويمتعه مسر
اجتياز خطوات نحو ما تنسب المجتمعات العربية بالتقدم . ولكنه يحتفظ
بالصلاية في تكوينه وحيويته . ولهذا فهو في المادة أطول عمرا والقل مرعا
وتعاسة من الصناعة المتقدمة . وأمراده في العادة أوفر نصيبا من السعادة

(١) هادي أطر بارمز في كتابه المسمى (النظم والمؤسسات الاجتماعية) نقل
عن كتاب العضارة للدكتور حسين مؤنس من ٢٦٠/٢٥٩ .

اد كانت السعادة هي، لا طمأنينة على النفس والاهل والذل وراحة العسير
وخذوا المال - (٢) -

و اليهودي في حياته استمرت الهوانة بعد حلالا من العربي المتقدم
عقبا الذي يحرق ورمى حرايا لم يحصل اليه ذلك لان عالم العربي هو عالم
صيرورة ان يهبط الى حدود نقصاء انه يستقر الى يهوده والاضطرار
(والرسم عدوه الذي يجب ان يصغر اليه مثل مسطر الشك والمريسة) (٣)
و ان جاز انظاره بين هذين نوعين من اجتماع فلا يظن ان
انه يدعوا او يجد طريقة بعباء اليهودية او الهندية - فان سعاده البشر
الحقة في رأيك تنبع دروها في الحياة الدنيا وادامتها في وسائل التقدم
العلمي بحسب درجات الرقي لاجل ان يسدوله الاساس -

ثانيا لا يصلح الرسم مقياسا للتقدم يقول الشيخ جعبي

(ان قوانين التصحيح الاساسية بقدر معرفتها في الوقت الحاضر ،
لا تقول سال لم يمر الرسم بلا انقطاع ، بل هي مستعدة لان تغير احتمال
بقائه ناسا لا يترك بحدوث تغير احتمال رجوعه التهتري ذلك ان تقدم
الزمن الى الامام بلا انقطاع ، وهو جوهر الصلة بين العلة والمطلوب ، وما
هو شيء اصضاء من حاربا بحدسه الى قوانين الطبيعة المحققة ، ولما
يسرى هل متحصل في صفة الرسم وان كانت نظرية النسبية فهم ان رسم
الرأي القابل لعدم الرسم تقدما مستمر وبوجود الصلة بين العلة والمطلوب
فهم ان رسم هذا الرأي بمسح الوهم والنداء (١)

وبعد هذا التعريف نستطيع لرسم ، ان يحق للايمان ان يتحد

(٢) وقطع كتاب آخر مؤلفه د . هـ

(١) د حسين مؤنس . العضارة ص ٢٥٨ - ٢٥٩

(٢) المرجع السابق ص ٢٥٩

(٣) محمد اسد . الطريق الى الاسلام ص ١٢٩ ، ترجمة عفيف البعلبكي

ط دار العلم للملايين - بيروت مارس سنة ١٩٧٩ م

(١) الكون الغامض ص ٢٢ - سح جيمس جيز ، ترجمة عبد الحميد

مرسي ومراجعه د . مصطفى مشرفة المطبعة الاميرية ببغداد ١٩٤٢ م

مقدما بتقديم أو التأخر . أما معنى معه رعاها فكيف يحير بين
حفظها وحسن تلاوة ولازم . ثم انه لابد أن تدور عقله بحلول
العاصر أصى . وقد قبل كل حد صائر أصا

بما في عصره . لزمه صافي . ب فروع محل والمستقل في
الاشياء لا يكون صف حقيقه عن لايده . بل صفا شاهدا لما لحدوده (٢)
أما عصره هو العصر المكرم لاستصلاح الايات في تناول الرمز
بى وردت ايات بالاشارة الى نبياء الدنيا مؤلفه وفسر بالمتن
(ولكم في الاوطى مستقر وشايع الى حين) ٢٦ البقرة

و يرمز بكوس (لانه الذى خلق السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام . سوى من لغير ماكنكم من ربه من دى ولا شمع افلا
تذكرون . يدير لاس من سماء و الارض ثم يخرج اليه في يوم كان
مقداره ألف سنة مما تعدون) ٥ سورة السجدة .

يذكر بعض الايات كملامح لاهل . وروعت الليل والنهار
يتبع فمحوا ايه سن . حيث به النهار مضرة لسوا فصل من ربكم
ولتعمدوا . سبى وبعث . ذكر بوه فبعثا بعثا (١٢ الانعام .
ولمعرفة مواقيت الصلاة والركاة والصيام والصح .

وقد ورد في الحديث وانما الاعمال بحواقيقها . والليل
وانها . مطلق . وهو . لى لاهل . المدرك . سرعته لترتيب
سورة ص ٩٦ . قال روى . لاهل . من روى . ثبات . من محمد لكونى لعابد

وما اذن السبى في حديث لعت . لاس . على امر عليه من
لعب . و لاهل لفرقى في لكسلا . الاسانية وصولا الى حبه المجد .
وفي حديث يوم لحر . قال لرسول صلى الله عليه وسلم (ان

(٢) وعيد الدين خان . . . الاسلام والعصر الحديث ص ٢٧ ط المختار
الاسلامى القاهرة ١٢٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

الرماني قد استدار كهسه يوم حلق اليه السموات والارض لـ
اث عشر شهر منها أربعة حرم * [الحديث وفي الحديث تحديد مشهور
العام والتصيحي على أربعة حرم (متفق عليه) *

أما برمن بمدلونه التاريخي فقد أقامه القران على أساس ثابت
سنة (ستة سنة) تعديرا واندرأ لسي دم ، فدار الاسم فيه تيريه
لوروسوعي ، القديم مثلا سبب للاستخدام الالهي - (وكذلك أحد ريث
١٠ أحد القرى وهي شاميه ان أحد اسم شديد) هود ١٠٣ (وما كان
ربك ليهلك القرى بظلم وأنها مصحون) هود ١١٧

وكذلك بأسسة للافراد ، مقارون وقروون وهامان وغيرهم (سارج
شربة مرصها بمران موصفا أعمالهم ونبينا نهاية ماحصوده تنعبد
سعي الة او معاون الالهي) (١) وهما كانت لارسه او لاغصر التي
تظهر فيها الاسم ، او الافراد ، لان ستة الة لا تبدل ولا تتحول *

ثالثا : التقدم في الاسلام :

إذا استبعدنا لفظ « التقدم » وما شابهه من الفاظ كالتطوير
والثورية ولجديد وما إليها بسبب ترغيع مدلولاتها وديدية مفاهيمها ،
جاءنا اسديها مع قرء الاسلام وحث عليه من اكسير بمصائل وبيد
بردين بمكير الاسدي من تحقيق مقام الخلافة في الارض - محسده
اصوبط والمعاير التي لا تنمى أو تتبدل بتغير الزمان والمكان *

وتضمنت الايات القرآنية الاوامر ولو هي واحتوت على نوعين
نوعين موجهين بالحدود ان فطرة الاسدي تحس العدل وصدق والتميم
والاحسان ، وتلجج اضدادها *

قد تعار (- الة بامرکم ان يؤدوا الامانات لی ائنها وذا حکمتکم

د- محمد جمال جعفر في لدين المقارن ص ١٤ ط دا الكتب الجامعية
سنة ١٩٧٠ م

بين الناس أن تعموا بالعدل) السام ٥١ وقال عز وجل (ان الله يامر بالعدل والاحسان وابتاه ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، بمعظكم لعلكم تذكرون) النحل ٩٠

ويقتضى الوقوف على بعض معاني التقدمة أن نستعرض آيات مسن الكتاب الكريم ونبتة من الاحاديث النبوية بادئين بالاول : -

(١) في لكتاب : - ها هو كتاب كتاب الله بين ايدينا - وكذلك السنة - كلاهما يوضحان مراتب احسن النماذج الانسانية ، ويحثان على الارتقاء والسمو لاكتساب الفضائل التي يدونها لا يصح الانسان انسانا : قال عز وجل (وسارعوا الى مفطرة من ربكم) وقال سبحانه وتعالى : (فاستبقوا الخيرات) ومدح قوما بقوله (يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون) -

والنظر في القرآن الحكم يدلنا - فيما يرى الراغب الاصمغاني - على درجات الارتقاء الاخلاقي ويحثنا على التماسي - ففي طرق الارتقاء ودرجاته يذكرها على الترتيب الاتي :

فاولها : أن يرتفع الانسان من المائم ويهجرها ويندم عليها ويمزم على ترك مقاومتها وذلك اول درجة التائبين الطيبين ، وثانيها ان يقوم بالعبادات المنروضة عليه ، ويسارع فيها بقدر وسعه ، وتلك درجة الصالحين - **وثالثها** أن يتحرى بمصلح العقيقي تعامله الحسنات من غير تلفت منه الى المخطورات بمجامعة هواه واماته شهواته المحرمة وتلك منزلة الشهداء - **ورابعها** أن يكون من هذه الاحوال المتقدمة برضى ، طاهر وبامانة يقضاء الله تعالى ، فلا يتزعزع تحت حكمة ولا يتسخط شيئا من امره ، ويعلم أن الله تعالى اول به من نفسه وتلك درجة الصديقين - وهذه المنازل الاربعة المرادة بقوله تعالى : (ومن يطع الله ورسوله فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا) (١)

(١) الراغب الاصمغاني : الذريعة الى منزلة الشريعة ص ٦٨ تحقيق طه عبد الرؤف سعد ط مكتبة الكليات الازهرية بمصر ١٩٧٣م

أما عن مهوى الانحدار ودركاته ، فقد وردت آيات كثيرة تحذر من انحدار الانسان وسقوطه الى مهوى الرذائل : فستها (ولا تردوا على اديباركم فتقلبوا خاطرين) .

ويوضح لنا الاصفهاني ترتيبا تنازليا لدركات الانحدار والارتداد :
فأولها الكسل من تحرى الغيبرات ، ويورثه ذلك الزيف لقوله تعالى (ففسادا زاهوا أزاغ الله قلوبهم) وثانيها **الغباوة** وهي ترك النظر وتقص العمل فيورثه ذلك رهنا على قلبه لقوله (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) وثالثها **الوقاحة** وهي أن يرتكب الباطل ويراءى في سورة الحق وينب عنه فيورثه ذلك قساوة القلب . (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) ورابعها **الانهماك** في الباطل ، وهو أن يستحسنه فيعبه فيورثه ذلك غشا على قلبه واقفا لا عليه ، كما قال تعالى : (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) وكما قال (أم على قلوب أفاها) .

فحق الانسان أن يراعى نفسه في الابتداء ولا يرخس في ارتكاب الصغائر فيؤديه ذلك الى ارتكاب الكبائر (المصدر السابق من ٦٤)

(ب) السنة

لو أحصينا أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم التي يحث فيها على الارتقاء والتقدم كما كتبتنا كتب ومجلدات ، ولكن يلاحظ المتابع أيها ، أن الرسول يتجه في ترغيبه وترهيبه الى الانسان على الحقيقة - أي نفسه وروحه وقلبه - لأنها أساس غذاء القلب والروح وشحن الارادة وتهذيب الاخلاق . وتتمثل في المرتبة الاولى قبل مظاهر الحضارة المادية من القامة مصانع وإنشاء مدن وشق طرق وبناء مدارس وجامعات ومستشفيات .

وربما خيل للكثيرين - من المسلمين أنفسهم - أن السنة تعني فقط بالجانب التشريعي من الاسلام من تحليل وتحريم وإباحة ، أو الارشاد الى أنواع البادات وكيفية اقامتها وأوقاتها وشروطها ورسالتها . ولكن الحقيقة أن هناك جانباً كبيراً في السنة القولية والعملية يتضمن ارشادات

وتوجيهات في الحياة الانسانية دليقتها وجليها ، في صورتها الفردية والاجتماعية . فارشادات بذلك الى منارات التقدم الحقيقي لكي يهتدى بها الانسان .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم - وسيظل - القدوة فيها كلها حتى احبه اصحابه - رضوان الله عليهم - اكثر من حبه لانفسهم* وسيبقى كذلك للمسلمين ما دامت الحياة .

قال عروة بن مسعود يصف احوال الصحابة بقوله : « اى قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله ما رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد محمدا ، صلى الله عليه وسلم » (١)

وما اروع البشرية عامة والمسلمين خاصة الى الاسترشاد بسنته في دروب الحياة المشعبة ، اذ لم يترك الدنيا الا بعد أن تحدث واصبح كل شيء .

لمى حديث جامع :

عن معاذ قال : أخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مشى قليلا ثم قال : يا معاذ ، اوصيك بتقوى الله وحسن الحديث ، ووفاء العهد وادام الامانة ، وترك الغيابة ، ورسم اليتيم ، وحفظ الجوار ، وكظم الغيظ ، والين الكلام ، وبذل السلام ، ولزوم الامام ، والتفقه من القرآن ، وحب الاخوة والجوع من الحساب ، وقصر الامل ، وحسن العمل ، وانهاك أن تشتم مسلما ، أو تصدق كاذبا ، أو تعصى اماما عادلا ، وأن تفسر لسي الارض .

(١) عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ص ٣٠٦ ط السلفية بمصر ١٣٩٧ هـ .

يا معاذ ، أذكر الله عند كل شجر وحجر ، وأحدث لكل ذنب توبة .
السمر بالسمر والملائنة بالملائنة - (٢)

والاحاديث النبوية في الحث على مكارم الاخلاق ، والرقى الانساني
وتقدمه ، لا حد لها ولا حصر ، ولكن حسبي ان سقت مثالا بما يناسب هذا
المقال في عرضه وحججه -

مصطفى حليمي

ولله ولي التوفيق

(٢) المنذرى = ج ٤ ص ١٠٧ / ١٠٨ الترهيب والترهيب - وقال رواء
البيهقي في كتاب الزهد - ضبط احاديثه وغلق عليه مصطفى محمد عمارة
ط العنبي ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٨ م

